

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٣٢٧ : خ ١ - كسب المال ؟ (المال قوام الحياة) ، خ ٢ - قرار الأرض ومهادها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٩٠-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيق ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في سلسلة الخطب المتعلقة بِكَسْبِ الْمَالِ ، تحدثنا في خُطبٍ سابقة عن أن تسعـةـ أـعـشـارـ الـمـعـاصـيـ مـنـ كـسـبـ الـمـالـ ، وـعـلـىـ أـنـ النـبـيـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ قـالـ : ((لا تَرْزُوْلُ قَدَّمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىْ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا وَضَعَهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ))

[سنن الدارمي عن معاذ بن جبل]

أيها الأخوة الأكارم ؛ المال قوام الحياة ، لابد من أن يتواقر بين يدي الإنسان فإن لم يكسبه من طريق مشروع حمل ، أو دفع ، أو اضطر أن يكسبه من طريق غير مشروع ، والدعاء النبوى الشريف : " اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عن سواك ".

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول :

﴿كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾

[سورة الجاثية : ١٣]

الكون كلـه مـسـخـرـ لـهـذـاـ إـلـنـسـانـ تـسـخـيرـ تـعـرـيفـ ، وـتـسـخـيرـ تـكـرـيمـ ، إـلـنـسـانـ مـكـرـمـ تـكـرـيمـاًـ شـدـيدـاًـ ، حينـماـ سـخـرـ اللهـ لـهـ الكـونـ ، وـلـاـ شـكـ أنـ المـسـخـرـ لـهـ أـرـفـعـ مـكـانـةـ مـنـ المـسـخـرـ ، مـاـذـاـ يـفـهـمـ مـنـ قـوـلـهـ تعالىـ :

لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ

[١٣ : سورة الجاثية]

الكون كله مُسخّر لك أيها الإنسان ، فلماذا لا تعمل ؟ لماذا تكون عالةً على الآخرين ؟ لماذا تؤثّرُ الكسل ؟ في آيةٍ ثانية يقول الله سبحانه وتعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلِولاً

[سورة الملك : ١٥]

جعلها لِّيَةً ، جعلها في خدمة الإنسان ، وقرب له كل شيء ، جعل في الأرض معايش ، وسبلاً لكسب الرزق ، قال تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَابِكُهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ

[سورة الملك : ١٥]

قال بعض العلماء : إنَّ كلامَ فامْشُوا في مناكِبِهَا هو أمرٌ من الله عز وجل ، ولكنَّه أمرٌ إباحة ،
إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى حينما امتنَّ على عباده بأن جعلَ لهم الأرضَ ذلولاً وأتبَعَه بقوله تعالى :

فَامْشُوا فِي مَنَابِهَا

إشارةً إلى أنه يرتفع أمر الإباحة إلى أمر التدب حينما قال :

﴿فَامْشُوا فِي مَنَابِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾

[سورة الملك : ١٥]

التعامل الإسلامي هو دعوة إلى الله مجدد و عملية :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ وردَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ أَنْسٌ :
((لِيَسْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ تَرْكِ دُنْيَا لَآخِرَتِهِ ، وَلَا آخِرَتِهِ لِدُنْيَا حَتَّى يَصِيبَ مِنْهُمَا جَمِيعاً ، فَإِنَّ الدُنْيَا
بَلَاغٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا كُلُّاً عَلَى النَّاسِ))

[أخرجه ابن عساكر عن أنس]

بالعمل تَكْسُبُ المال ، والمال إِذَا أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَرْتَقِي بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، بالعمل تَكْسُبُ
الْمَحَمَّدَ ، وَبِالْمَالِ يَظْهَرُ مَعْدُنُ الْمُؤْمِنِ الثَّمِينَ ، رَبِّمَا كَانَ مِنْ خَلَلِ تَعْامِلِكَ مَعَ النَّاسِ وَفِقْ الشَّرْعِ
قَرِبَتِ الدِّينِ إِلَيْهِمْ ، حَبَّبَتِ إِلَيْهِمِ الْإِسْلَامَ ، رَبِّمَا كُنْتَ دَاعِيَةً وَأَنْتَ لَا تَدْرِي ، حِينَما تَعْامَلْتَ مَعَ
النَّاسِ مِنْ خَلَلِ الصِّدْقِ ، وَالْأَمَانَةِ ، وَالْإِخْلَاصِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ، هَذَا التَّعْامِلُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ
دَعْوَةُ إِلَى اللهِ مَجْسَمَةً ، وَدَعْوَةُ مَجْسَدَةً ، وَدَعْوَةُ عَمْلِيَّةٍ .

يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ الْمُؤْمِنَاتُ ۖ آيَةٌ ثالثَةٌ ۖ قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبْشِّرًا وَلِيُذْكِرَ مَنْ رَحْمَتْهُ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[سورة الروم: ٦]

الكون كله ؛ بسمائه ، وأرضيه ، وجباره ، وبحيراته ، وبحاره ، وأنهاره ، ونباته، وحيوانه ،
لتبتغوا من فضله ، وإليه النشور .
آية خامسة ، قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَرْجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَانِيَةَ مَوَاحِدَرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[سورة النحل : ١٤]

ومن رحمته جعل الليل والنهر لتسكنوا فيه ، قال تعالى :
﴿نَوْمَكُمْ سُبَاتٌ * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾

[سورة النبأ : ٩-١٠]

آيات كثيرة ، أكثر من أن تحصى ، محورها ومبدأها أن الإنسان في الحياة الدنيا خلق ليعمل ، لا ليعمل من أجل أن يكسب المال فينفقه على شهواته ، ومتاعه الرخيصة ، ليس هذا هو القصد ، القصد هو أن تقدم للمجتمع نموذجاً للمسلم ، المسلم الصادق ، المسلم الأمين ، المسلم الحريص على دينه ، المسلم العفيف ، المسلم المخلص ، المسلم النصوح ، لا شيء يؤثر في الآخرين كأن يكون الإسلام مجدداً في التعامل ، لا أن يبقى في الكتب ، ولا في الخطاب ، ولا في المقالات ، ولا في المحاضرات ، ولكنه التعامل اليومي ، أذكركم بقول سيدنا عمر رضي الله عنه حينما قال لأحد هم : جئني بمن يعرفك ، فجاء برجل ، فقال له : هل تعرفه ؟ قال : نعم ، قال : هل سافرت معه ؟ - والسفر من شأنه أن يسفر عن أخلاق الرجال - قال : لا ، قال : هل زاورته ؟ قال : لا ، قال هل حاككته بالدرهم والدينار ؟ قال : لا ، فقال عمر رضي الله عنه : أنت لا تعرفه ، ائتي بمن يعرفك فهذا لا يعرفك ، إذا هذا الدين العظيم لا ينشر في الآفاق إلا إذا جسد في معاملات صحيحة ، إلا إذا طبق في بيotta ، طبق في أسواقنا ، في بيعنا وشرائنا وتعاملنا ، فيما إليها الأخوة المؤمنون ؛ إن لم تكسب المال من طريق مشروع نظيف طاهر فربما دفعت بداع الحاجة ، ربما أوقلت أو احتلت فكبسته من طريق غير مشروع .

الجنة من رحمة الله و ثمنها العلم و العمل :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه النسائي عن السيدة عائشة رضي الله عنها :

((إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ))

[النسائي عن عائشة]

اذكركم أن كلمة أطيب اسم تفضيل ، والإمام أحمد في مسنده روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

((خير الكسب كسب يد العامل إذا نص))

[أحمد عن أبي هريرة]

((مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحابه من جده ونشاطه - عضلات مقتولة ، وهمة عالية ، ونشاط عالٍ - ما أعجبهم ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله - لينت هذه العضلات المقتولة تتحرك في سبيل الله ، ليت هذه الهمة العالية تصرف في سبيل الله - فقال عليه الصلاة والسلام معلماً : إن كان خرج يسعى على أولادٍ صغار فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الشيطان))

[رواية الطبراني عن كعب بن عجرة]

هل من بعد هذا الحديث من قضيّة غائمة ؟ قضيّة ضبابيّة ؟ إذا أردت أن تكون يدك هي العليا ، وأن تكون لك مهنة ، صنعة ، اختصاص ، نفوّق ، خبرة ، وأردت أن تكسب المال وأن ترافق الرأس ، وأن تتفق هذا المال الذي كسبته من تعليّك وعرق جبينك فيما يرضي الله عز وجل ، إنك ترقى بهذا ، الآخرة بالعمل لا بالأمل ، قال تعالى :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَنَّهُمْ أَجْمَعُونَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحجر : ٩٣-٩٢]

قال تعالى :

﴿الَّذِينَ تَنَوَّفَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل : ٣٢]

أما أن تكون الجنة في حديث آخر صحيح برحمة الله عز وجل ، فالحديثان صحيحان ، ولا يتراقضان ، الجنة مَحْضٌ فضلٌ ، ولكن مفتاحها العمل ، قال الإمام جعفر رضي الله عنه : " يا عبادي ، ادخلوا الجنة برحمتي ، واقتسموها بأعمالكم " فالجنة في الأصل من رحمة الله عز وجل ، ولكن هذه الرحمة لها ثمن ، ولها قاعدة ، ولها مفتاح ، مفتاحها ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ، في الحياة قوى كثيرة ، العلم فوّة ، والمال فوّة ، وأن تكون علي الشأن فوّة ، إنك إن كنت على الشأن تستطيع أن تتصف بالمظلوم ، وإن كنت كثير المال تستطيع أن تمسح جراح البؤساء والمساكين ، وإن كنت عالماً تستطيع أن تغير الطريق ، بإمكانك أن تسلك إلى الجنة طريق العلم ، وهو طريق سريع جداً ، وبإمكانك أن تجعل من مالك طريقاً إلى الله عز وجل ، وبإمكانك أن تجعل من جاهك طريقاً إلى الله عز وجل أما أن تقدّم خاماً ، كسولاً ، بعيداً عن أن تكون ذا شأن ، وهذا عمل ، وهذا خبرة ، وهذا كسب ، فهذا ليس من أخلاق المسلم .

جمع الإحسان إلى الوالدين مع عبادة الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾

[سورة المزمل : ٢٠]

هؤلاء الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله تعالى هم الذين يعملون، ويكتسبون أرزاقهم بِكَدْهِم وعرق جبينهم ، هؤلاء جمعهم الله عز وجل مع الذين يقاتلون في سبيل الله تعالى، والعطف يقتضي التجانس ، مثلاً ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

جمع الإحسان إلى الوالدين في آية واحدة مع عبادة الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿سَيِّدِهِمْ وَيَصْلُحُ بَالَّهُمْ﴾

[سورة محمد : ٥]

جمع صَلَاح البال مع الْهُدَى ، جَمَع الإِحْسَان إلى الوالدين مع عبادة الله عز وجل ، جَمَعَ الجَهَاد في سبيل الله مع الضَّرْب في الأرض ابْتِغَاءِ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه قال : ما جاعني أجيبي في مكانٍ ما عدا الجهاد في سبيل الله أحبّ إلَيَّ من أَنْ يأتِيَنِي وَأَنَا بَيْنَ شُعْبَتِي أَطْلُبُ من فضل الله تعالى ، وتلا قوله تعالى :

﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[سورة المزمل : ٢٠]

إِنْ لَمْ يَأْتِي أَجْلِي ، وَأَنَا أُفَلِّئُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ، أَتَمْنَى أَنْ يَأْتِيَنِي أَجْلِي ، وَأَنَا أَصْرَبُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَبْتَغِي رِزْقًا حَلَالًا ، أَعْفُ بِهِ نَفْسِي ، وَأَكْفِي بِهِ أَهْلِي .

الحكمة البالغة من جعل كسب الحرام يسيرًا و كسب الحال صعبًا :

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ دقيق جدًا ؛ هو أنَّ الله سبحانه وتعالى لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ جَعَلَ كسبَ الحرام يسيرًا ، وجعل كسبَ الحال صعبًا ، لماذا ؟ لو أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل كسبَ الحال يسيرًا جدًا ، وجعل كسبَ الحرام صعبًا جدًا ، لاتَّجَهَ النَّاسُ جَمِيعًا إِلَى كسبِ الحال ، ولما عُرِفَ معدنهِ، ولما ظهرَتْ محبَّتهم لِرَبِّهِمْ ، ولا بدًا ورُعُهم ، ولا خوفُهم ، ولا أيٌّ شيءٌ من هذا القبيل ، ولكن لِحِكْمَةٍ أرادَها الله عز وجل جعل كسبَ المال الحال صعبًا ، وربما كان كسبَ المال الحرام أسهلُ بِكَثِيرٍ ، لماذا ؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال فيما رواه الإمام السيوطي عن أنس رضي الله عنه :

((من بات كالا في طلب الحال بات مغفورا له))

[السيوطى عن أنس]

الحكمة من خلق الإنسان هلوعاً و عجولاً و ضعيفاً :

هذا يُذَكِّرُنا بِثَلَاث آيَاتٍ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، الْأُولَى تَقُولُ :

﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء : ٢٨]

والثانية تقول :

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١١]

والثالثة قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلْوَعًا﴾

[سورة المراج : ١٩]

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلقه هلوعاً ، فما ذنبه هو ؟ وإذا كان الله جل وعلا قد خلقه ضعيفاً فما ذنبه ؟ وإذا كان الله جل في علاه قد خلقه عجولاً فما ذنب الإنسان ؟ هذا ضعف خلقي ، وهذا الضعف مغروز في خلق الإنسان ، لماذا ؟ لأنّا نأخذ واحدة من هذه ، لو أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مهولاً ، ولم يخلقه عجولاً ، لو فطره على حب الآجلة ، وترك العاجلة ، لاتجاه الناس إلى الآجلة من دون جهد ، من دون معارضته نفس ، من دون صراع ، من دون جهاد ، اتجاه الناس بحكم خلقهم إلى الآجلة ، ما بدا اختيارهم ، وما بدا حبّهم ، وما بدا ورعيهم ، قد يbedo لك شيء عاجل متائق ، مغر ، تدعه من أجل الآخرة البعيدة فيما يbedo لك ، لا ترقى إلى الله عز وجّل إلا إذا عاكست نفسك وهواك ، قال تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَهَى النَّفْسُ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[سورة النازعات : ٤٠-٤١]

جعل ربنا سبحانه وتعالى هوى الإنسان في العاجلة ، في الشيء السريع ، وفي الشيء الذي بين يديك ، في الشيء القريب ، ووعدك بالجنة بعد الموت ، ماذا تفعل ؟ إذا حكمت عقلك تختار الآجلة ، وإذا حكمت هواك تختار العاجلة ، هنا يبتلى الناس ، وهنا يُمتحنون ، هنا يميز الله الخبيث من الطيب ، هنا يميز الله المفكر من غيره ، الذي ينظر نظرة ثاقبة ، والذي ينظر نظرة عاجلة ، لذلك إذا تبع الإنسان هواء هوى ، فإذا اهتدى بنور ربّه وحكم عقله ارتفع ، إذا الإنسان خلق عجولاً ، إياك أيها الإنسان أن تطمع في العاجلة وتذر الآجلة ، إياك أن تغريك الدنيا ، ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ، وشتت عليه شمله ، ولم يؤتّه من الدنيا إلا ما قدر له ، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأنّته الدنيا وهي راغمة .

خلق الإنسان ضعيفاً ، فلو أنّ الله خلق الإنسان وقوياً ، لا يمرض ، غنياً لا يفتقر ، صحّياً لا يسمم ، متماسكاً لا يخاف ، بقي في ضلاله ، وفي انحرافه ، وفي اتباعه لشهواته إلى أن يأتيه الموت ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى لحكمة أرادها جعله ضعيفاً ، فإذا لاح له شبح مصيبة ، يلجم إلى الله عز وجّل ، خلقه ضعيفاً ، ليفتقر في ضعفه فيسعد في افقاره ، ولم يخلق قويّاً لئلا

يُستغنى بقوته فيشقى بأسْعَنَاهِ ، إِذَا مَعَ أَنَّ الْضَّعْفَ وَالْفَقْرَ وَالْعُجَلَةَ ضَعْفٌ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ ،
لَكِنَّ هَذِهِ الْثَّلَاثَةِ لِصَالِحِ الْإِنْسَانِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هَلُوْعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا * إِلَى الْمُصْلَّينَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٢]

أَلْ لِلْجِنْسِ ، هَكَذَا طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ ، هَكَذَا جِنْسُ الْإِنْسَانِ ، هَلُوْعٌ جَزُوعٌ مَنْوِعٌ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هَلُوْعًا﴾

[سورة المعارض : ١٩]

كَلَّمَا لَاحَ لَهُ شَبَحُ مَصِيبَةٍ ، شَبَحُ مَرْضٍ ، شَبَحُ آفَةٍ ، شَبَحُ فَقْرٍ ، شَبَحُ قَهْرٍ ، بَادَرَ إِلَى اللَّهِ مُلْجَئًا ،
بَادَرَ إِلَى اللَّهِ دَاعِيًّا ، بَادَرَ إِلَى اللَّهِ تَائِبًا ، يَكُونُ اللَّهُ سَبَّانَهُ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ مِنْ ضَعْفِهِ طَرِيقًا إِلَيْهِ ،
كَيْفَ أَنَّ الصَّغِيرَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَبُوِيهِ ، وَقَدْ يَسْتَغْلِلُ الْأَبُ الْعَاقِلُ حَاجَةُ ابْنِهِ إِلَيْهِ لِيُرِشِّدَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، وَلِيَحْمِلُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هَلُوْعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا * إِلَى الْمُصْلَّينَ﴾

[سورة المعارض : ١٩-٢٢]

لَكِنَّ إِذَا اتَّصَلَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاعْتَرَزَتْ بِهِ ، وَعَرَفَتْ أَنَّ الْأَمْرَ كَلَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا
مَصِيرُهُمْ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كَلَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَأَنَّ بِيَدِهِ مُلْكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ فِي
السَّمَاءِ إِلَهٌ ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ، وَأَنَّ يَدَهُ فَوْقَ أَيْدِي النَّاسِ جَمِيعًا ، إِذَا شَعَرْتَ أَنَّ اللَّهَ بِيَدِهِ كُلَّ
شَيْءٍ ، وَأَنْتَ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ بَدَلَ اللَّهُ خَوْفَكَ أَمْنًا ، وَحِرْصَكَ كَرِمًا ، قَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هَلُوْعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا * إِلَى الْمُصْلَّينَ﴾

[سورة المعارض : ١٩-٢٢]

مِنْ قَبْلِ هَذَا جَعَلَ اللَّهُ الْكَسْبَ الْحَرَامَ سَهْلًا ، وَجَعَلَ الْكَسْبَ الْحَلَالَ صَعْبًا :

(من بات كالا في طلب الحلal بات مغفرا له))

[السيوطى عن أنس]

كَسْبُ الْمَالِ جَزْءٌ مِنَ الدِّينِ :

هُنَاكَ احْتِيَالٌ ، وَهُنَاكَ نَصْبٌ ، وَهُنَاكَ مَرَاوِعَةٌ ، وَهُنَاكَ عِشٌّ ، وَهُنَاكَ إِيمَانٌ ، وَرَدَ فِي الْجَامِعِ
الصَّغِيرِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ :

((من أصاب مالاً من نهاؤش أذهبه الله في نهابر))

[كشف الخفاء عن أبي سلمة الحمصي]

النهاؤش الاحتيال ، من أصاب مالاً عن طريق الاحتيال ، أذهبه الله عن طريق النَّهْبِ
وَالاستغلال ، فلذلك كسب المال جزء من دينك ، كسب المال يظهر دينك ؛ لا في صلاتك ، ولا
في صيامك ، ولكن في كسب مالك ، وإنفاق المال جزء من دينك ، لذلك ربنا سبحانه وتعالى
خص موضوع المال يوم القيمة بسؤالين اثنين ؟ من أين اكتتبه ؟ وفيما أنفقه ؟

أيها الأخوة المؤمنون ؛ أربع موضوعات قصيرة ، لماذا خلق الإنسان ضعيفاً ؟ ليقتصر في ضعفه إلى الله ، فيسعد في افتقاره ، لماذا خلق الإنسان هلوعاً ؟ ليتجئ إلى الله عند كل مشكلة ، ليُبادر إليه ، لماذا خلقه الله عجولاً ؟ إذا آثر الآخرة على الدنيا ارتفق إلى الله عز وجل بمعنى أنه غالب نفسه وهوه ، عاكس مُراد نفسه ، عاكس حظوظ نفسه ، لذلك أيها الأخوة المؤمن قد تُعرض عليه الدنيا ، يؤثر مرضاه الله عز وجل ، يؤثر الآخرة :

((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه))

إذا خلق الإنسان عجولاً ، وخلق الإنسان هلوعاً ، وخلق الإنسان ضعيفاً ، وجعل الله كسب الرزق الحال صعباً ، وجعل كسب الرزق الحرام سهلاً ، لذا قال عليه الصلاة والسلام :

((من بات كالاً في طلب الحال بات مغفراً له))

[السيوطى عن أنس]

إنقان العمل جزء من الدين :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ موضوع أخير في كسب المال ، يجب أن تعلموا علم اليقين أن إنقان العمل جزء من الدين ، بل هو من صلب الدين ، إذا قدّمت صناعةً متقدّنة ، سلعةً جيدةً ، عملاً متقدناً ، ثواباً جيداً ، خططاً متيناً ، إذا قدّمت للمسلمين صناعةً متقدّنة فاعلم أن هذا من صلب الدين ، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أنه قال :

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقدّمه))

[الجامع الصغير عن عائشة]

أصحاب الصناعات ، أصحاب الحرف ، أصحاب المعامل ، أنت مسلم ، أترضى أن يكون الكافر في بلاد بعيدة يُتقن عمله أياً ما إنقان ، يعطيك صناعةً من الدرجة الأولى ، والناس يتهاقرون على شراء صناعته ، وأنت المسلم الذي تعرف الله عز وجل ، الذي تتبع هذه السلعة لإخوانك المؤمنين ، هذا الذي اشتري هذا التّوْب ، واقتطعه من دخله إذا هو بعد أيام أو أسابيع قد هبط خطشه ، وقد توسيّع فتّاحته ، وصار شيئاً لا يحتمل ، أهكذا المسلمين ؟ يجب أن تعلم علم يقين أن الإسلام يدخل معك في صنعتك ، وفي مهنتك ، وفي حرفتك ، وفي معمالك ، وفي دُكّانك ، وفي بيتك ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقدّمه))

[الجامع الصغير عن عائشة]

وكلّكم يعلم أن الصناعة المتقدّنة قد يزيد سعرها أضعافاً كثيرةً عن الصناعة المشابهة من حيث المواد الأولية إلا في إنقانها ، فلماذا نقيم أعمالاً غير متقدّنة ؟ لماذا نعلن عن أنّا مسلمون بهذه الصناعة التي هي في غير المستوى المطلوب ؟

((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحْدَكُمْ عَمَلاً أَنْ يَتَقَبَّلَهُ))

[الجامع الصغير عن عائشة]

هذا هو الدين ، الدين والحياة صنوان لا يفتران .
أيها الأخوة المؤمنون ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ،
واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حزنا ، الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، والحمد
له رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق
العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قرار الأرض ومهادها :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا أمركم الله عز وجل أن تتدبروا آياته ، كيف التدبر ؟ كيف أتدبر قوله تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا﴾

[سورة النبأ : ٦]

الله سبحانه وتعالى يوحيُّ أفكارنا ، ينبيء عقولنا ، يلقي أنظارنا ، ألم نجعل الأرض مهاداً ؟ هذه الأرض جهزت لكم أيها الناس ، وهبّت لاستقبالكم هل فكرتم في ذلك ؟ هل فكرتم أن هذه الأرض جعلها الله مستقرة ؟ في كل ثانية تقطع ثلاثين كيلو متراً ، وهذه الخطبة منذ أولها وحتى الآن قطعت مئات الآلاف ، هل تحرك شيء ؟ هل اهتزَّ جدار ؟ هل تشقق سقف ؟ ألم نجعل الأرض مهاداً ؟ قال تعالى :

﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل : ٦١]

من جعلها مستقرة وهي متحركة ؟ تبني البناء ، طوابق متعددة ، لو أنها تهتزَّ قليلاً لأنها انهار البناء ، وتهدم البناء ، وتقطعت الجسور ، ولردمت الترع ، من جعلها مستقرة ؟ ولكنها تبقى في غفلة أعطاك الزلازل نموذجاً ، زلزال يجعل الأرض عاليها سافلها ، فأصبح في ثلات ثوان ثلاثة ألف من دون مأوى ، في ثوان معدودة مدينة بأكملها تُصبح تحت أطباق الشّرى قال تعالى :

﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل : ٦١]

هلا فكرتم في هذه الآية ؟ من جعلها مستقرة وهي متحركة ؟ وحركتها أيها الأخوة متبدلة لأن مسارها حول الشمس مسار إهليلي ، ولها الشكل البيضاوي نصف قطر صغير ، وآخر كبير ،

فإذا وصلت الأرض إلى نصف القطر الصغير جذبها الشمس ، ولكيلا تتجذب تزيد من سرعتها زيادة تدريجية ينشأ عن هذه الزيادة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة ، قال تعالى :

﴿أَمْنِ جَعْلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل : ٦١]

إله مع الله ؟ من يستطيع في الكون كله أن يُبقي الأرض على مسارها ؟ قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

[سورة فاطر : ٤١]

من جعل الأرض على مسارها ؟ من جعلها تزيد من سرعتها إذا اقتربت من القطر الأدنى ؟ من جعل هذه الزيادة تدريجية - تسارع منظم - ؟ من جعلها ؟ يد من ؟ يد الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾

[سورة النبا : ٦]

من وفر في الأرض الهواء ؟
أيها الأخوة ، الهواء مع الأرض ، ولو كان منفصلاً عنها لنشأت عواصف سرعتها ألف وستمائة كيلو متر في الساعة ، وأشد أنواع الأعاصير المدمرة لكل شيء على الأرض لا تزيد سرعتها عن ثمانمائة كيلو متر ، وفي مئتي كيلو متر الرياح مدمرة ، بالثمانمائة كيلو متر لا تبقي ولا تذر ، لا تبقي بيتا فوق الأرض ، لو أن الهواء شيء ، والأرض شيء ، والأرض تدور ، لنشأت أعاصير سرعتها ألف وستمائة كيلو متر في الساعة ، قال تعالى :

﴿أَمْنِ جَعْلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾

[سورة النمل : ٦١]

قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾

[سورة النبا : ٦]

هواء مع الأرض ، ومحرك ، هناك رياح لطيفة ، رياح معقولة تبدل الأجواء ، تتنفس الأجواء ، وهكذا ، من وفر لهذه الأرض أشعة الشمس الدافئة ؟ المنيرة والمعقة ؟ من وفر الطعام والشراب ؟ من خلق النبات ؟ آية النبات آية عظمى ، هذا كله من قوله تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾

[سورة النبا : ٦]

من أعطى الأرض الحرارة المناسبة ؟ لو أنها توقفت عن الدوران لأصبحت حرارتها ثلاثة وخمسين درجة في النهار ، ومئتين وخمسين درجة تحت الصفر في الليل ! من جعلها في درجات معتدلة تتوافق مع أجسامنا ؟ من جعل الليل والنهار بطول يساوي حاجتنا إلى النوم والعمل ؟ من ؟

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾

[سورة النبأ : ٦]

أيها الأخوة ؛ الأرض هيّا لها لنا ، وهيّا لك لها ، جعل لك قدميْن تسعى بهما ويدين تعمل بهما ، وعينين تُبصرُ بهما ، وعقلًا تدرك به الحقائق .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا قرأتم القرآن الكريم ، لا تقرؤوه هكذا ، توقفوا عند آياته، تأملوا فيه، ألمْ نجعل الأرض مهادًا ؟ كيف هيّا لها لك وهيّا لك لها ؟ كيف جعلها بحاجٍ وبسرعةٍ وباستقرار مع الهواء والماء والشمس والنبات والحيوان والتضاريس والليل والنهر والحركة والجازبية بِشكٍ يوافق حاجاتك ؟ وجعل لك قدميْن ، ويدين ، وعينين ، ورئتين ، وأذنيْن ، وقوّة مدركة ، وأخرى عاقلة ، ولسان طليق يتحدث ويبين .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ القرآن كونٌ ناطق ، والكون قرآن صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، تأمل في صنْع الله عز وجل من أجل أن تعرف الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

[سورة فاطر : ٢٨]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشينك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكتفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمنا سخياً رخيًّا وسائل بلاد المسلمين ، اللهم اسكننا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِّ كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين